تاريخ أهل الذمة في العراق

(١٢ - ٢٤٧ هـ)

تأليف
الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي
كلية الآداب - جامعة الموصل

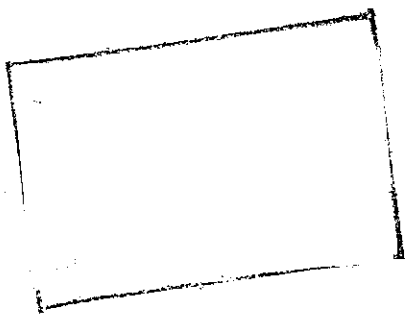

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م

جميع حقوق هذه الطبعة محفوظة
لدار العلوم للطباعة والنشر

ص. ب. ١٠٥٠ ــ هاتف ٤٧٧٧١٢١
الرياض ــ المملكة العربية السعودية

الطبعة الأولى
١٤٠٣هـ = ١٩٨٣م

شكر وتقدير

يسرني أن أتوجه بالشكر والتقدير لأستاذي الجليل الدكتور عبد المنعم ماجد المشرف على أطروحة الدكتوراه. لما قدمه لي من توجيه وإرشاد عند إعدادي لها فكان لجهده الأثر المهم في الأخذ بهذا المجهود العلمي المتواضع إلى طريق الصواب والنجاح.

وأتوجه بالشكر لجميع الذين قدموا لي يد المساعدة في مراحل إعداد الأطروحة.

وأتقدم بالتقدير والعرفان لزوجتي وأولادي قتيبة وقبية وانتصار وعتبة وعقبة الذين تحملوا عبء بعدي وغربتي عنهم لأكثر من عامين فبفضلهم جميعاً استطعت أن أخرج هذا البحث العلمي إلى حيز الوجود ولن أنسى جهودهم ما حييت.

وأرجو أن أكون قد وفقت في إعداد هذه الأطروحة، وأملي أن تكون سدت ما نحس به من ثغرات في تاريخ العراق في العصر الوسيط خدمة لرسالة العلم،

والله ولي التوفيق.

توفيق سلطان اليوزبكي
نيسان (أبريل) ١٩٧٢
كلية الآداب ــ جامعة عين شمس
(القاهرة)

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث وتحليل المصادر	٩

الباب الأول
تمهيد للبحث

الفصل الأول: أحوال اليهود والنصارى والصابئة والمجوس قبل الفتح الإسلامي للعراق..... ٣٣
الفصل الثاني: التعريف بأهل الذمة ٤٥

الباب الثاني
موقف أهل الذمة من الفتح الإسلامي وأحكام الإسلام والمسلمين فيهم

الفصل الأول: موقف أهل الذمة من الفتح الإسلامي للعراق ٦٣
الفصل الثاني: أحكام الإسلام في أهل الذمة ٧١
الفصل الثالث: موقف الحكام المسلمين من أهل الذمة ١٠٩

الباب الثالث
العقائد الدينية لطوائف أهل الذمة

الفصل الأول: عقائد الطوائف الدينية لأهل الذمة..... ١٦٧

الفصل الثاني: كتبهم المقدسة ومصادر الفكر الديني ٢٣٩
الفصل الثالث: بيوت العبادة (الكنائس، المعابد، بيوت النار، الهياكل، الأديرة والرهبنة) ٢٦٧
الفصل الرابع: الأعياد والمراسيم الدينية لأهل الذمة ٢٨٥

الباب الرابع
دور أهل الذمة
في الحياة السياسية والدينية في العراق

تمهيد ٣٠١
الفصل الأول: الحركات السياسية لأهل الذمة ٣٠٨
الفصل الثاني: الحركات الدينية لأهل الذمة ٣٣٥

الباب الخامس
الحياة الاجتماعية والعقلية والاقتصادية
لأهل الذمة

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية (التقاليد والعادات) ٣٦٣
الفصل الثاني: دور أهل الذمة في العلوم والآداب والفنون ٣٩١
الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية لأهل الذمة ٤٣٥
خاتمة البحث ٤٤٩
فهارس مصادر الرسالة ٤٥٣

مقدمة البحث
وتحليل المصادر

عاش أهل الذمة في العراق قبل الفتح الإسلامي، وكانوا حينذاك جزءاً من الأمبراطورية الساسانية، لذا لم نجد لهم تواريخ خاصة، وإنما كان تاريخهم جزءاً من التاريخ الفارسي، ورغم هذا فقد كانت لهم اتصالات ثقافية وحضارية بأمم وشعوب مجاورة ذات حضارات عريقة فقد أتاح لهم الفتح الإسلامي التفاعل الحضاري بين الحضارة العربية الإسلامية وبين ما كانوا يحملونه من حضارات الأمم المجاورة، والذي كان له أثره أيضاً على مجريات الأحداث في العراق، وخاصة في العصر العباسي حيث أسهموا في النواحي السياسية والعسكرية، وفي المناقشات الدينية، والحياة الثقافية، والاقتصادية والاجتماعية، وفي شتى المجالات مما لا يمكن الاستغناء عن دراستهم إذا ما أريد إعطاء صورة حقيقية ومتكاملة عن الدور التاريخي الذي قام به أهل الذمة في العراق.

وان ما جاء من ذكرهم في بعض الكتب ما هو إلا نتف قليلة أوردها المؤرخون على سبيل العرض لا التخصص، أو أنهم ذكروهم لعلاقاتهم بتاريخ البلاد الإسلامية، واشتراك المسلمين بها، أو نتيجة انعكاس الجانب السلبي من حياتهم في مواقفهم من المسلمين، وفي حركاتهم السياسية والدينية التي كان لها خطرها على الإسلام والدولة العربية. لذا فقد أولينا المصادر القديمة ذات العلاقة الأهمية البالغة في الاعتماد عليها، واستقصاء أخبارهم منها لنستطيع أن نكوّن من هذه النصوص المتفرقة مادة البحث.

ويبدو أن عدم الاهتمام من جانب المؤرخين لتأريخ أهل الذمة يعود إلى ميل المسلمين إلى عدم الالتفات إلى معتقدات الذميّين لأن عقائدهم تتعارض مع ما جاء به الإسلام كالمجوسية والصابئية، أو بسبب انعزال أهل الذمة وعدم قبولهم اطلاع المسلمين وغيرهم على عقائدهم وتقاليدهم وكتبهم الدينية، مما تعذر على المؤرخين القدامى الإلمام بعقائدهم وشعائرهم وتقاليدهم الدينية، وهذه الظاهرة تبدو واضحة جلية بالنسبة للصابئة إذ أن دينهم يحرم اطلاع الغير عليه، كما أن كتبهم المقدسة مدونة بلغة يصعب على المؤرخين العرب المسلمين معرفتها كالفهلوية عند المجوس والمندائية عند الصابئة، والسريانية عند النصارى، والعبرية عند اليهود.

ويرى البعض من أهل الذمة ولا سيما الصابئة عدم اطلاع المسلمين على عقائدهم مما يساعد على حفظ استقلالهم وكيانهم عن المسلمين.

وقد اهتم بعض المؤرخين العرب بدراسة عقائد أهل الذمة، وأحوالهم الاجتماعية في العصر العباسي عندما برزت أخطار عقائدهم وأفكارهم الدينية على الإسلام، مما اضطروا إلى دراستها، وتدوينها لتوضيح خطرها على الدين والمجتمع، وعندما أخذت هذه الطوائف الدينية من الذميين تهاجم الإسلام مستخدمة في ذلك الفلسفة والمنطق اليوناني فاضطر المسلمون من فقهاء ومحدثين ومؤرخين وأدباء إلى دراسة عقائدهم الدينية، ودراسة الفلسفة اليونانية للرد على خصومهم الذميين، وعلى أهل البدع والنحل المارقة عن الإسلام، وكان أبرزهم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣م) في كتابه (الملل والنحل) وابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦ هـ/١٠٦٣م) في (الفصل في الملل والأهواء والنحل) والبغدادي (ت ٤٢٩ هـ/١٠٣٧م) في (الفرق بين الفرق) والرازي (ت ٦٠٦ هـ/١٢٠٩م) صاحب كتاب (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) والغزالي (ت ٥٠٥ هـ/١١١١م) في كتابه (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة) وابن القيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ/١٣٥٠م) صاحب كتاب (أحكام أهل الذمة في الإسلام) وكذلك الرسائل التي كتبت في الرد على طوائف أهل الذمة.

وما ورد في الكتب المخطوطة من روايات ونصوص تاريخية بحثت في جوانب معينة من حياة أهل الذمة، فقد ورد في الرسالة المخطوطة المودوعة في دار الكتب المصرية «المكتبة التيمورية» برقم ٢٢٥٢ تاريخ، ونسخة منها مصورة بمعهد المخطوطات في الجامعة العربية لابن زير القاضي باسم (الشروط العمرية على أهل الذمة) وهي رسالة صغيرة تناولت صورة العهد الذي سمي بعهد عمر بن الخطاب لأهل الذمة كما أشار مؤلف مجهول في رسالته بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية والموسومة (مرسوم بعض الملوك الصلاحية في إلزام أهل الذمة بالشروط العمرية) وقد جاء فيها العهد أيضاً بالإضافة إلى عهد المتوكل لأهل الذمة وما فرضه عليهم من الزي وغيره. وما كتبه ابن النقاش في كتابه (المذمة في استعمال أهل الذمة) والموجود بدار الكتب المصرية برقم ١٦٩٣ فقه شافعي، والمصّور بمعهد المخطوطات بالجامعة العربية برقم ٤٦٥/تاريخ، والذي يؤكد على الولاة والعمال بوجوب عدم استخدام أهل الذمة في أمور المسلمين. وأشار مصطفى الحنفي في كتابه (جلاء الظلمة عن حقوق أهل الذمة) والمحفوظ بدار الكتب المصرية «المكتبة التيمورية برقم ٣٢٤/عقائد، إلى إجراءات الخلفاء في أهل الذمة، وفي تحديد حقوقهم، وحرياتهم التي منحها المسلمون لهم، وكتب أيوب صبري (رسالة في الرد على النصارى) والمحفوظة أيضاً بدار الكتب المصرية «المكتبة التيمورية» برقم ١٠٥/عقائد، فجاءت هذه المخطوطات بنصوص وروايات ذات أهمية كبيرة، فقد انفرد بعضها بروايات لم تذكر في غيرها، ومنها ما كانت مكملة ومؤكدة للروايات في المخطوطات الأخرى، وقد ألقت هذه المخطوطات وسواها ــ الوارد ذكرها في فهرست البحث ــ الضوء على أحوال أهل الذمة، وإجراءات المسلمين، ومواقف الإسلام منهم. وجاء في الرسالة المخطوطة[1] ــ المجالس السبعة ــ المتبادلة بين الوزير المغربي العباسي وبين المطران إيليا النصيبي، والتي تتضمن دعوة الوزير العباسي للمطران إيليا إلى الإسلام، بأسلوب يوضح سياسة التسامح الإسلامي مع أهل الذمة، إلا أن جواب المطران إيليا يدل على حقده على الإسلام، وهي

(١) الرسالة المخطوطة: المجالس السبعة من مقتنيات سعيد الديوجي، الموصل.